

توافقات «الأطلسي» وخلافاته

عبد الوهاب بدرخان



الثلاثاء 10 ديسمبر 2019 02:34 ص

توافقات «الأطلسي» وخلافاته

ما أقلق الأوروبيين أن ترامب واطب على التقليل من أهمية «النااتو» وجدواه وضرورات وجوده. «مؤسسة الحكم» الأميركية لم تكن متوافقة مع أفكار ترامب بالنسبة لبوتين وروسيا ولا بالنسبة لأوكرانيا. «إعلان لندن» جاء بمثابة بيان أول يعترف فيه «النااتو» بأن الصين تتسلح بوتيرة سريعة مشكّلة «تحدياً استراتيجياً». استطاعت «المؤسسة» كبح اندفاعات ترامب نحو بوتين واستندت في ذلك لـ«التدخلات الروسية» في الانتخابات الأميركية.

* * *

ليست المرة الأولى التي تشهد فيها قمم حلف شمال الأطلسي (النااتو) خلافات علنية، خصوصاً منذ القمة الأولى التي شارك فيها دونالد ترامب عام 2017، مسبقاً بمواقفه كمرشح وتغريداته كرئيس. وكان محورها أن الدول الأوروبية تدفع قليلاً لقاء الحماية التي تطلبها من الولايات المتحدة وتحظى بفائض لصلحتها في الميزان التجاري مع أميركا.

ونجح ترامب في إرغام الحلفاء على زيادة مساهمتهم في ميزانية «النااتو»، إذ مضى إلى حد التهديد بانسحاب الولايات المتحدة من الحلف، أو بعدم التزامها الدفاع عن الغرب، لكنه لا يزال يطالب بالمزيد من الالتزام المالي لأن تسعاً فقط من الأعضاء الـ29 رفعوا مساهماتهم.

غير أن ما أقلق الأوروبيين، وبالأخص فرنسا وألمانيا وحتى بريطانيا، هو أن ترامب واطب على التقليل من أهمية «النااتو» وجدواه وضرورات وجوده.

لم ينس الحلفاء أن ترامب انطلق بعهدته مركزاً على التقارب والتوافق مع روسيا، معتبراً أنه والرئيس بوتين قادران على فتح صفحة جديدة مختلفة في النظام العالمي، حتى أنه دعا إلى تجاوز الخلاف على أوكرانيا قائلاً إن بالإمكان إيجاد حل سريع لقضيتها.

كان ذلك إنذاراً مبكراً للأوروبيين بأنهم للمرة الأولى في تاريخ «النااتو» لن يكونوا على موجة واحدة مع رئيس أميركي. ولعل ما ساعدهم أن «مؤسسة الحكم» في الولايات المتحدة لم تكن متوافقة مع أفكار ترامب بالنسبة لبوتين وروسيا، ولا بالنسبة لأوكرانيا.

وإذ برهنت «المؤسسة» لاحقاً أنها تستطيع فرملة اندفاعات ترامب نحو بوتين، فإنها استندت في ذلك إلى «التدخلات الروسية» في الانتخابات الأميركية.

مع ذلك لم تتبدد مخاوف الأوروبيين الذين دخلوا في نقاش جدّي وعميق حول ضرورة أن يكون لأوروبا نظام دفاع ذاتي مواز للنااتو ولا يعتمد كلياً على أميركا.

هذا ما أشار إليه أخيراً الرئيس الفرنسي ماكرون في التصريحات التي قال فيها عن «النااتو» إنه في حال «موت سريري»، بسبب خلل في استراتيجيته وفي التنسيق بين دوله.

كان من الطبيعي أن يُفهم الموقف الفرنسي على أنه انتقاد لسياسات ترامب، الذي أدرك بدوره أنه مستهدف، فردّ بأن تصريحات ماكرون «بغیضة» و«مهينة»، ليخلص إلى أن «أكثر من يحتاج للنااتو هو فرنسا»، ملمحاً إلى أن الحلفاء هم الذين حرّروا فرنسا من الاحتلال النازي.

وفيما طغى هذا السجال على افتتاح قمة لندن في الذكرى السبعين لولادة «الناتو» فالأهم بالنسبة للجميع كان الخروج بإعلان ختامي يعيد الروح للمبادئ التي حتمت إنشاء الحلف، والأهم معالجة أسباب التذمر والقلق لدى بعض الأعضاء.

يُستدل من «إعلان لندن» وتأكيديه أن الحلف «دفاعي ولا يشكّل تهديداً لأي دولة»، أن هذه النقطة المبدئية هي التي استند إليها الأوروبيون في رفضهم التدخل التركي في شمال سوريا.

كما أنه بتجديده التركيز على التهديد الإرهابي كان الحلف حاسماً في عدم موافقته على طلب تركيا تصنيف «وحدات حماية الشعب» الكردية كمنظمة إرهابية، ف«الناتو» يعتبر تلك «الوحدات» حليفاً بفعل محاربتها لتنظيم «داعش».

وكانت أنقرة هدّدت بعدم المشاركة في خطة «الناتو» لحماية دول البلطيق وبولندا، ما لم يُستجَب لطلبها، لكنها تراجعَت ووافقت على الخطة، ليس فقط لأن ترامب طلب ذلك من أردوغان، بل لأن الأخير لم يشأ إتاحة فرصة أمام الأوروبيين لفتح نقاش حول علاقته بروسيا ومنظومة صواريخ «أس 400».

لم يخرج الحلف عن موقفه التقليدي من روسيا، لأن نشرها الصواريخ الجديدة متوسطة المدى ألغى عملياً معاهدات قائمة بشأن هذا السلاح وبات يشكّل «مخاطر على الأمن الأوروبي الأطلسي»، لكنه أبدى انفتاحاً على الحوار معها «عندما تجعل تصرفاتها ذلك ممكناً».

وكان ردّ بوتين أن روسيا لن تدخل سباق تسلّح مع «الناتو»، وأنها مستعدة لتمديد العمل بمعاهدة «ستارت 3» دون شروط مسبقة. لكن «إعلان لندن» جاء بمثابة بيان أول يعترف فيه «الناتو» بأن الصين تتسلح بوتيرة سريعة مشكّلة «تحدياً استراتيجياً».

وينبغي أن يكون موضع تقويم، خصوصاً أنه مرفق بتنامي قدراتها الاقتصادية والتكنولوجية. هذه هي الإشارة الأطلسية الأولى إلى «خضم» جديد في المجال الجيواستراتيجي ولا بدّ من وضعه تحت المراقبة.

* عبد الوهاب بدرخان كاتب صحفي لبناني